هديل غنيم

2009/08/02
عدد الكلمات : 3230

مايكل جاكسون: قصة ملك

لماذا نهتم بحياة مايكل جاكسون؟ ما شأننا به خاصة إذا لم نكن من الجيل الذي تعلق بأغانيه؟ بل إن أكثرنا لا يتذوق الموسيقى الشعبية الغربية من الأصل، فلماذا نجاري الإعلام الغربي في كل شيئ ؟ من الطبيعي أن تتبادر مثل هذه الأسئلة في أذهان معظم القرّاء في منطقتنا، ولو أن أولادهم أو جيرانهم اشتروا شرائطه الغنائية في وقت ما، وقلدوا رقصته أو حتى قلدوا ملابسه.. ولكن في حياة "ملك البوب" الحقيقية حكاية تشبه حكايات الملوك في القصص الخيالية ومسرحيات شيكسبير التراجيدية. فهو الطفل الذي منحه الله موهبة ذهبية، فتولى عرش الأغنية والشهرة والمال وهو شاب، وظل يطمع في المزيد من الجاه حتى فقد كل شيئ وتحول في النهاية إلى أضحوكة قبيحة: نصف رجل ونصف امرأة، نصف عجوز ونصف طفل، نصف أسود ونصف أبيض.

ومن ناحية أخرى فإن حياة مايكل جاكسون تعد مثال صارخ لنموذج يشمل هؤلاء الذين تأثرت حياتهم بظاهرة النجومية، سواء من الفنانين أوغيرهم من الشخصيات الشهيرة التي لها جماهير وأتباع بما في ذلك الزعماء السياسيين. ظاهرة النجومية هذه في حد ذاتها تستحق الاهتمام لما أصبح لها من تأثير على الثقافة الشعبية العامة في المجتمع. وهي تعد ظاهرة حديثة نسبيا في تاريخ العالم، لأنها مرتبطة بتطور وسائل الإعلام الجماهيري من صحف واسعة الانتشار وإذاعة وتليفزيون وفضائيات ثم الانترنت. فقبل ذلك كانت الشهرة تصنع عن طريق تناقل الحكايات بين الناس عن بطل شجاع أو ملك عادل أو عالم حكيم، ثم تتحول الحكايات بفعل خيال البشر إلى أساطير، وقد تسجل بعضها كتاريخ. أما الآن فإن الإعلام الجماهيري العابر للقارات يصنع "الأساطير الحية"، كما أنه يقتلها أيضا. ومن تلك الزاوية أتناول حكاية ملك البوب، الأسطورة الحية الذي حولت النجومية حياته إلى مأساه، وجعلت منه عِبْرَة.

الموهبة والكرباج: هل رأيتم طفولته؟

عاش مايكل جاكسون طفولة غير عادية. وما حدث له في هذا السن المبكر ربما يفسر جزء كبير من الاختيارات الغريبة التي قام بها في المراحل اللاحقة من حياته. فبداية لم يختر مايكل طريق الغناء والاستعراض، بل اختارته له ظروفه منذ أن ولد عام 1958 في أسرة جو جاكسون ضمن تسعة أبناء كان هو سابعهم. كان والده يعزف الجيتار في فرقة مغمورة ولكنه في النهاية اشتغل عاملا في مصنع للحديد والصلب طلبا للدخل الثابت. وأول مرة غنى فيها مايكل على مسرح أمام جمهور كان تلميذا في الحضانة عمره خمس سنوات، وقد بكت مدرسته من شدة التأثر بغنائه وصوته الجميل. وحين رأى أخوته موهبته وتأثيره المحبب عند الجمهور ضموه إلى فريقهم الموسيقي كمغني خلفي، وعندما بلغ الثامنة انتخبوه مغني رئيسي إلى جانب أخيه جيرماين وغيروا اسم الفريق من الأخوة جاكسون إلى الخماسي جاكسون.

ولكن الغناء والرقص لم يكن لعبة أو تسلية للطفل الصغير. فقد كان طموح الأب كبيرا، وقد صمم على نجاح أولاده في ما فشل هو فيه، لذلك عيّننفسه مدربا ومديرا لفريق أبناءه. وكان يعقد لهم تدريبات يومية وفي يده حزام من الجلد لتصحيح أي خطأ أو حركة، وفي أحيان أخرى كان يأتي بالكرباج لعلاج أي تكاسل أو نشاز. وقد اعترف جو جاكسون بانه ضرب مايكل بالكرباج وهو طفل، حتى أن مايكل كان يصاب أحيانا بقيئ عصبي مفاجئ حين يرى والده.

هكذا تبخرت سنوات طفولة مايكل ما بين التدريبات اليومية بعد المدرسة، والغناء في الملاهي الليلية مع أخوته في عطلة نهاية الأسبوع. إلى جانب جولات غنائية في الولايات المختلفة تستغرق كل منها عدة أيام. وكانت بعض هذه الملاهي الليلية تضم فقرات "ستريب تيز"، كما كان يضطر الطفل أن ينام في نفس الغرفة في الفندق مع اخوته الكبار الذين كانوا احيانا يصطحبوا الفتيات. الأمر الذي يقول البعض أنه ساهم بشكل كبير في نفوره من الجنس حين بلغ مرحلة الشباب.

وفي ظل تلك الطفولة المضطربة نجح الخماسي جاكسون، وفازوا في كل مسابقة غنائية تقدم لها والدهم الذي منع الحديث في تليفون المنزل انتظارا لمكالمة قد تأتي من أحد شركات الإنتاج الفني. وحين كان مايكل في العاشرة من عمره جاءت المكالمة المنتظرة ومعها أول عقد مع شركة موتاون. وفي بداية لسلسلة من الأغاني الناجحة التي تقدمت في مراكزها على أغاني فريق "البيتلز" الإنجليزي الشهير، شهد مايكل نجاح أحد أغانيهم في الوصول للمركز الأول عام 1969. كما شهد في العام التالي انتقال الأسرة من ولاية انديانا إلى كاليفورنيا بسبب انتقال مقر شركة موتاون من دترويت إلى لوس أنجلوس. وتوزعت إقامة الأسرة بشكل مؤقت ما بين منزل مدير الإنتاج ومنزل الفنانة ديانا روس التي استضافت مايكل لمدة عام ونصف في بيتها، وقد تأثر بها مايكل كثيرا كما ظهر في وصيته بعد وفاته. فهناك كف عن الذهاب إلى المدرسة وتحول إلى الدراسة المنزلية، وعلمته هي الرسم والتلوين واصطحبته مراراً إلى ملاهي "ديزني لاند". وكانت وهي تكبره بعشر سنوات بمثابة أم وأخت و"أول حب"، حتى أنه شعر بالألم والغيرة الشديدة حين تزوجت، ورفض حضور حفل زفافها وكأنها الحبيبة التي هجرته.

وجه المراهقة المكروه

بالرغم من تعرضه لتجارب وخبرات تفوق سنه وتجعله يكبر قبل الأوان، إلا أنه حين بدأ الطفل الموهوب يكبر ويصل إلى سن المراهقة مثل أي صبي في عمره، لم يتلق العالم هذا التطور الطبيعي إلا بالاستنكار. فشركة الإنتاج وكذلك الأب يريدان إرضاء الجمهور، والجمهور يحب الطفل الأسود الصغير "الأمور". لذلك كذبت شركة الإنتاج في دعايتها للفريق حول عمر مايكل جاكسون حين كان في الحادية عشرة، مدعية أنه في التاسعة، حفاظاً على تلك الصورة التي أحبه فيها الجمهور. أما أبوه فلم يترك فرصة إلا وسخر من أنف مايكل ومن بثور "حب الشباب" التي تناثرت بكثرة على وجه إبنه المراهق. كما تعّرض مايكل أكثر من مرة لمواقف سخيفة من الجمهور، فكان إذا التقى بزوار في منزل الأسرة بكاليفورنيا سألوه عن أخيه الصغير "مايكل"، ثم طلبوا منه أن يذهب ليبحث عنه ويحضره.

وكانت النتيجة أن انسحب مايكل عن مخالطة الناس أو مقابلتهم، وترسخ عنده خجل اجتماعي شديد لا يفارقه أبدا سوى على المسرح، حيث تخرج كل طاقاته الجسمانية والعاطفية. فهو يعرف كيف يتصل بالناس فقط من خلال الأداء الفني، كيف يبهرهم ويؤثر فيهم وكيف ينال منهم التصفيق والإعجاب. أما خارج هذا الإطار، فقد لازمه حياء يشبه حياء الفتيات، وظل طوال حياته يؤثر العزلة ولا يقابل الصحفيين إلا نادراً – وهو أمر يزعج آلة الإعلام التي تتغذى على حياة النجوم، مما يدفعها أحيانا للاعتماد على الخيال الصحفي لنسج حاجتها من القصص. ومن هذه القصص ما يصيب النجوم في مقتل كما سيحدث لمايكل فيما بعد.

كذلك فقد خلط مايكل وهو في ذلك العمر المبكر ما بين الحب وإعجاب الجماهير، وشعر بأنه قد فقد حب الجمهور لرفضهم شكله. فأيقن أن حب الجمهور له مشروط، ومرهون بشكله. فكره المراهق وجهه كراهية شديدة وكره أن ينظر في المرآه، إلى أن أصبح يمتلك من الأموال ما جعله لا يكف عن تغيير شكله باستمرار لكي يفوز بحب الناس، وربما لكي لا يشبه والده في شيء. وكلنا يعلم كيف تطورت تلك الرغبة المريضة بدرجة متطرفة جعلته في النهاية يبدو كائناً شائها.

تلك التجربة التي مر بها مايكل جاكسون مبكرا تشبه تجارب الكثيرات من نجمات السينما حين تفزع الواحدة منهن من ذهاب نجوميتها مع ذهاب شبابها، وإزاء الهلع الذي يصيبها تظل تجرب كل أنواع العلاجات والأصباغ وعمليات التجميل. ولو دققنا النظر في عالمنا العربي سنجد أكثر من وجه حولنا لا يقل بشاعة عن الشكل الذي وصل إليه مايكل جاكسون، سواء بين نجوم السينما أو بين الزعماء السياسيين الذين صبغوا وشدوا ودهنوا على اعتبار أن النجوم لا ينبغي أن يكون لها عمر.

الأمير الخجول يصعد إلى سماء النجومية

أراد الأخوة جاكسون القيام بكتابة وتلحين أغانيهم بأنفسهم، فانتقلوا إلى شركة إنتاج فني أخرى تتيح لهم هذه الفرصة. ولعب مايكل دورا كبيرا في تلك الخطوة، خاصة أن جيرماين كان قد انفصل عن الفريق. وبالفعل حققت أغانيهم نجاحا كبيرا وحقق ألبومهم "ديستني" أول اسطوانة بلاتينية لهم، وكان مايكل وقتها في العشرين من عمره. بعد ذلك قام مايكل بأول مشروع فني بمفرده بعيدا عن أخوته بتمثيله دور "خيال المآته" في الفيلم الموسيقي "ساحر أوز" مع ديانا روس. وهناك حدث لقاؤه التاريخي بينه وبين والملحن والموزع الموسيقي المخضرم كوينسي جونز، حيث تعاون معه في إنتاج ألبومه الأول كمغني منفرد "أوف ذا وول" الذي أطلق عام 1979، واشترك في كتابة أغانيه الراقصة عمالقة مثل بول مكارتني وستيفي وندر.

وصعد الألبوم ومعه مايكل جاكسون كالصاروخ، الذي أصبح وهو في الحادية والعشرين من عمره صاحب أعلى حقوق ملكية فنية. وفي غضون خمس سنوات كانت نجومية مايكل جاكسون قد وصلت إلى أبعاد تاريخية لم يسبقه إليها أحد من قبل: فقد احتلت أغانيه المراكز الأولى في القوائم المحلية والعالمية دون منازع، وسجلت مبيعات ألبوماته وجولاته الفنية أرقاما قياسية، بالإضافة إلى أنه حصد أكبر عدد ممكن من الجوائز الموسيقية "جرامي" وغيرها في عام واحد (1984). بل وظهرت صورته في ذلك العام وحده على غلاف 170 مجلة، بما في ذلك مجلة تايم التي انفردت بلوحة رسمها له الفنان الهولندي الشهير آندي وورهول. وظهرت في الأسواق تماثيل مصغرة لمايكل جاكسون، حتى أنه برز في تلك الفترة ما أسمته الصحافة الغربية "مايكل مانيا" أو ظاهرة الجنون بمايكل.

....

لكن هل يعني هذا أن مايكل جاكسون أفضل من نجوم الغناء الذين سبقوه مثل إلفيس بريسلي أو فريق البيتلز؟ الأمر الذي لا يلتفت إليه كثيرون هو الدور الرئيسي الذي لعبه التطور التكنولوجي والاقتصادي لتلك المرحلة في جعل مثل هذه النجومية ممكنة. فقد تميزت تلك الفترة عن غيرها بانتشار شرائط الكاسيت الرخيصة نسبيا وإمكانية الاسمتاع إليها في أجهزة فردية متنقلة مثل "الووكمان"، وأيضاً في السيارة. لهذا السبب كان من السهل على الشباب والأطفال في القاهرة أو بومباي أن يشتروا ألبوم "ثريلير" من الأكشاك المنتشرة في معظم الأحياء. كذلك شهدت تلك الفترة بداية عصر القنوات التلفزيونية المخصصة فقط لعرض الأغاني المصورة بالفيديو، وكان مايكل جاكسون من أوائل من استثمروا الفيديو لإضافة أكبر قدر من الإبهار على أعماله حتى أنه استقدم كبار نجوم هوليوود مثل مارتن سكورسيزي وغيره لإخراج وتمثيل أغانيه المصورة.

أما الآن فقد أصبحت صناعة الموسيقى تجارة خاسرة بسبب دخول العالم العصرالرقمي، فلم يعد هناك من يشتري الاسطوانات المدمجة لأن الأغاني يتم تداولها بين الأفراد مجانا باستخدام الكمبيوتر. وبالتالي لم تعد هناك شركات تستثمر في صناعة نجم غناء كبير تكتسح به الأسواق وتحقق أرباحا من مبيعاته. لذلك يمكن القول أنه إلى جانب موهبته التي لا شك فيها، فإن صناعة وتجارة الإنتاج الموسيقي جعلت من مايكل جاكسون في ذلك الوقت "سلعة" عالمية معروفة وطاغية بالصوت والصورة والحركة. وهذا هو الذي جعل الشباب في كل مكان يقلدوا ملابسه ورقصاته، بل وأصبح اسمه متداولا في لغة الشارع المصري بدليل الأغنية الشعبية المشهورة لحمدي باتشان التي يقول فيها " إيه يا راجل انت ده ..إيه اللي انت

" ..عامله ده.. إيه يا مايكل جاكسون ده .. إيه اللي انت لابسه ده
....

تلك الشهرة الفنية العريضة لم تزد مايكل إلا خجلا ومزيدا من الابتعاد عن الحياة الاجتماعية. ومن المدهش أن مايكل جاكسون بالرغم من كراهيته لأبيه، وبالرغم من شبابه ونجوميته وثرائه، ظل يعيش مع والديه في منزل الأسرة حتى بلغ الثلاثين من عمره! بينما انفصل جميع أخوته الصبية ليعيش كل منهم بمفرده في سن مبكر كما يفعل كل الشباب الأمريكي. وحين ذهب مايكل للعيش بمفرده في نيويورك لمدة ستة أشهر أثناء عمله في فيلم الساحر أوز، لم يحتمل الشاب الذي يحترف الغناء والرقص والنجم حبيب الملايين مدينة الخروج والسهر، وطلب من أخته لاتويا أن تنضم إليه بسبب معاناته من الوحدة.

وفي مقابلة صحفية أجريت معه وهو في الثالثة والعشرين من عمره، قال مايكل جاكسون أن هدفه في الحياة هو "تحقيق مشيئة الله"، لاعتقاده أن الله هو الذي اختار له طريق الفن لأنه لم يكن ليختر لنفسه وهو طفل في الخامسة. وقد ظل مايكل جاكسون حتى سن التاسعة والعشرين يتبع طائفة "شهداء جيهوفا" المسيحية المتشددة التي تتبعها والدته. وقد بلغ ولاؤه للطائفة أنه لم يغني أغنية "ثريلير" في جولته الفنية عام 1984 لكي يرضي شيوخ الطائفة الذين اعترضوا على مشاهد الأشباح والسحرة المنافية للمعتقدات المسيحية من وجهة نظرهم، بل وقام بالتبرع بكامل أرباحه من هذه الجولة (5 مليون دولار) للمؤسسات الخيرية.

ذلك الولاء الديني ربما كان السبب في أن مايكل جاكسون على عكس معظم نجوم غناء البوب، لم يكن يشرب الخمر أو يتعاطى مخدرات أو يقيم علاقات نسائية وهو في العشرينيات من عمره وفي قمة مجده. والمفارقة هنا أن رمز الشباب والتمرد والموسيقى الصاخبة الذي يختال بجسده على المسرح وأمام الكاميرات، لم يكن متمردا على أي شيئ خارج الفن، بل كان "أليفاً" إلى أقصى حد: يحب الحيوانات، وألعاب الأطفال، بل وحين صادق النجمة الجميلة بروك شيلدز، كانت علاقتهما "بريئة" بالرغم أنه طلب منها أن تتزوجه. كذلك فقد ظل مايكل شديد التعلق بأمه، ويظهر أن الأمومة هي العلاقة الوحيدة العميقة التي كان قادرا أو مستريحا إلى إقامتها، فكما انجذب إلى ديانا روس التي تبنته في البداية، أقام صداقات عميقة مع نجمات سابقات مثل جين فوندا وكاترين هيبورن وإليزابيث تايلور.

من التبجيل إلى الإذلال

انتقل مايكل جاكسون مع بلوغه سن الثلاثين عام 1988 إلى مزرعته التي أطلق عليها اسم "نفرلاند"، الجزيرة الخيالية التي جاءت في قصة الأطفال بيتر بان، والتي يعيش فيها الأطفال الضائعون هربا من عالم الكبار ويظلوا فيها أطفالا سعداء إلى الأبد دون أن يكبروا.

وإذا كان مايكل جاكسون بذلك قد بدا عليه علامات الانفصال عن الواقع والهروب إلى عالم خيالي، فإن العالم من حوله لم يساعده على الاتزان أو الواقعية. ففي العام التالي أطلقت عليه إليزابيث تايلور لقب "ملك البوب" ، وطلبت منه دور النشر أن يبدأ في كتابة مذكراته، ثم كرمه جورج بوش الأب في البيت الأبيض باعتباره "فنان العقد" خاصة انه اكتسب رمزا سياسيا حين أصبح أول فنان أمريكي يظهر في إعلان في الاتحاد السوفييتي. وفي عام 1992 منحته لجنة جوائز جرامي الموسيقية جائزة "الأسطورة الحية". وفي العام نفسه قام مايكل جاكسون بجولة أسطورية فعلا في بعض الدول الأفريقية، وأثناء وجوده في ساحل العاج توجه رئيس أحد القبائل "ملك ساني" وأجلسوه على عرش من الذهب في حفل تنصيب رسمي. فكيف لا يفقد عقله ؟

ثم جاءت الضربة الأولى في عام 1993 أثناء الجولة الفنية المصاحبة لألبومه "دينجيروس" والذي تبرع بأرباحها بالكامل للمؤسسة الخيرية التي أنشأها للأطفال في مزرعته. فقد قام والد أحد هؤلاء الأطفال الفقراء باتهام مايكل جاكسون بالتحرش الجنسي بطفله. وفي الوقت الذي نفت الأم مثل هذه الاتهامات، وكذلك أهالي باقي الأطفال، إلا أن صحافة الإثارة سارعت بتشويه صورة ملك البوب. ولكي يثبت براءته، وافق مايكل على تعريض نفسه لفحص ومعاينة جسدية استمرت حوالي نصف ساعة من جانب عدد من الأطباء ورجال البوليس، لكي يقارنوا بأنفسهم بين شكل أعضائه التناسلية وبين ما وصفه الصبي. وقد قال المقربون من مايكل جاكسون إنه لم يشف أبدا من إحساسه بالمذلة والمهانة بعد هذا الإجراء. وقد انتهت القضية بتسوية مالية خارج المحكمة قدرها 22 مليون دولار دفعها مايكل للأب، وبعدها أسقطت القضية في المحكمة لعدم كفاية الأدلة.

شهدت تلك الأزمة تدهور شديد في صحة مايكل جاكسون، وبداية تعاطيه للأقراص المسكنة والمهدئة، ثم دخوله مصحة علاجية. وقال بعض أصدقاؤه الذين وقفوا بجانبه في تلك الأزمة ومنهم ليسا بريسلي انه ذهنه بدا مضطربا وكان يهذي بعبارات غير مفهومة. وقد طلب مايكل الزواج من ليسا بعد الأزمة مباشرة، ربما لتجسين صورته الإعلامية، ووافقت. ولم تدم الزيجة أكثر من عامين وعادا كما كانا مجرد أصدقاء.

وفيما يشبه الانتقام الفني، قام مايكل جاكسون عام 1995 بإصدار ألبومه المزدوج "هستوري" (تاريخ)، نصفه من أغانيه القديمة والباقي أغاني جديدة ظهر فيها الغضب والمرارة والنقد الصريح للصحافة الصفراء مثل أغنية "سكريم" (صراخ) التي غناها مع أخته جانيت. واتسمت الجولة الغنائية الأخيرة التي قام بها في العامين التاليين في أوروبا بدعاية مبالغ فيها، حيث أقيمت في المدن التي سيغني فيها تماثيل دعائية ضخمة له في هيئة عسكرية، تماما مثل تماثيل الرؤساء الدكتاتوريين الكبار.

ومع اقترابه من سن الأربعين، يبدو أنه قرر أن يكون أبا حقيقيا، فأنجب من ممرضته التي تزوجها لفترة قصيرة طفلين اتفق معها أن تتركهما له، ثم أنجب طفله الثالث بالتلقيح الصناعي عام 2002. واستمرت الصحف الصفراء تجد في مايكل جاكسون مادة للسخرية والاستهزاء، خاصة بسبب وجهه الذي ظل يتحول تحولات مخيفة سواء بسبب البهاق أوالعقد النفسية أو العمليات الجراحية. وظل هو معزولا، لا يثق في أحد، ومحاط رغم ذلك بعدد كبير من المنتفعين والحراس والمديرين والمستشارين.

ولم يعد مايكل جاكسون فنيا سوى ذكرى، فبالرغم من إصداره ألبوما أخيرا في عام 2001، إلا أنه لم يحظ باهتمام خاصة بعد نزاعه مع شركة سوني المنتجة التي ألغت دعايته فلم يبيع سوى 10 مليون نسخة "فقط"، وهو رقم قليل بالنسبة للأرقام الضخمة التي كان يحققها في السابق. وهذا هو سبب مشكلة مايكل جاكسون الفنية. فقد تعود أن يقيس نجاحه لا بالقيمة الفنية التي يضيفها، وإنما بما يحققه من مبيعات وتذاكر وتحطيمه للأرقام القياسية. وكان يظن أن توليفة نجاحه في السابق القائمة على تجدد الصورة وعروض الإبهار والدعاية المكثفة سوف تستمر في جذب الجمهور. ولكن الحقيقة أن صورته في تلك السنوات أصبحت تلعب ضده وليس معه، كما أن المشهد الغنائي كله قد اختلف وأصبح يضم أذواقا وصيحات مختلفة، ولم تعد صناعة الغناء تسمح بوجود "ملوك" بين النجوم، وظهر جيل جديد من الجمهور يرقص على نغمات أخرى ولا يعرف عن مايكل جاكسون إلا صوره المشوهة في الصحف الصفراء وفي صفحة النميمة وليس في صفحة الفن. فإذا كان مايكل جاكسون قد مثّل رمزا لحقبة الثمانينيات، فهو بالتأكيد لم يعد يمثل الشيء نفسه بالنسبة للتسعينيات والألفية الجديدة.

الضربة القاضية

وسرعان ما تلقى مايكل جاكسون الضربة التي قضت عليه بعد عشر سنوات من قضية التحرش الأولى. والمفارقة المأساوية أنها جاءت بعد أن قرر مايكل جاكسون بسذاجة أن يفتح قلبه وبيته للصحافة أخيرا بعد طول ابتعاد. فسمح لصحفي تلفزيوني بريطاني من أصل باكستاني اسمه مارتن بشير أن يجري معه سلسلة من اللقاءات عبر ثمانية أشهر من الإقامة شبه الدائمة معه. وقد أغراه بشير قائلا في عرضه انه صاحب الحوار الذي قلب حياة الأميرة ديانا مكسبا لها تعاطف الناس.

وبالفعل قلب بشير حياة مايكل أو أنهاها تقريبا. فبعد تسجيله لمشهد عن العلاقة القوية التي تربط مايكل وطفل مريض بالسرطان يرعى علاجه، أضاف تعليقا يفيد بأنه "غير مرتاح لعلاقة مايكل بالأطفال هناك في نفرلاند". وقامت الدنيا ولم تقعد بسبب هذا التعليق الذي احتوى على اتهام ضمني بالتحرش الجنسي بالأطفال، وبدأت التحقيقات ثم وصلت القضية إلى المحكمة. وكان رد مايكل جاكسون أن هذه هي أكبر خيانة تعرض لها في حياته، حيث كشف عن تسجيلات قام بها أحد مساعديه لبشير وهو يقول لمايكل مادحاً أن "هذه المزرعة مكان روحاني.. وأن أبوته الحنونة لهؤلاء الأطفال تبعث على البكاء من فرط رقتها".

وفي عام 2005 وبعد عامين مما يشبه السيرك الإعلامي، حكمت المحكمة ببراءة مايكل جاكسون بعد أن تحطمت سمعته، وذهب عنه ما كان متبقيا من صحته الجسمانية والعقلية، حيث هبط وزنه إلى ما يزيد قليلا على الخمسين كيلو، وأصبح مدمنا تماما للمسكنات والحبوب المهدئة. بل أن الطبيب النفسي الذي عينته المحكمة للكشف على مايكل أثناء المحاكمة قال عنه ان صفاته النفسية لا تتسق مع نموذج المعتدي جنسيا، وإنما هو مصاب بنوع من التخلف والارتداد إلى سن العاشرة! فكما جاءت كل مرحلة من حياة مايكل جاكسون له في وقت مبكر عن ما هو معتاد، فقد جاءته أيضا الشيخوخة وخرفها في وقت مبكر.

وهكذا اكتملت المأساة الإغريقية بفقدان الملك لعقله ولملكته التي تراكمت عليها الديون، فنفى نفسه إلى جزيرة صغيرة عند شيخ طيب، هربا من شعبه الذي خانه وتخلى عنه وسخر منه.
أما وفاته في مطلع هذا الصيف، فلم تكن سوى تذكرة للعالم بمايكل جاكسون الذي كان قد فقد قبل ذلك بسنوات طويلة. بل أن المفاجأة الأكبر كانت ستكون عودته مرة أخرى إلى الغناء أمام الجمهور كما كان يأمل ويخطط وفي نهاية أيامه. ولكن الرب شاء.

* * *

<u>مايكل جاكسون وقضية العنصرية</u>

اندهش البعض حين رأوا شخصيات مرموقة من الأمريكيين السود تنعي مايكل جاكسون بحرارة. ألم يقم بالتنصل من لون وجهه الأسود وملامحه الإفريقية؟

هناك بالفعل من السود من اعتبر أن مايكل جاكسون قد انتهى بالنسبة لهم منذ أن بدأ يتحول في مظهره. ولكن هناك آخرون دافعوا عنه لأنه لم يتوقف أبدا عن التعاون مع الفنانين السود، ولأنه صرح بأنه أسود وأنه فخور بذلك. كذلك برروا تغير لون وجهه بنظريات مختلفة منها عقدته النفسية من والده الأسود، ومنها أن من حقه كمبدع أن يستخدم وجهه للتعبير الفني، ومنها التبرير الذي صرح هو به حول مرضه بالبهاق.

ولكن بصرف النظر عما فعله بوجهه، فإن مايكل جاكسون يمثل بالنسبة للأمريكيين السود قيمة أهم بكثير من كل ذلك. ففي المعركة الطويلة من أجل مكافحة العنصرية وتحقيق المساواة والاندماج العنصري في المجتمع الأمريكي، يظل مايكل جاكسون – دون تخطيط من جانبه – هو أول فنان أسود ينجح بنجوميته في تخطي حاجز العنصرية في الثقافة الشعبية الأمريكية العامة. فقبله كان المغنون السود ينجحون في قوائم الغناء السوداء ويفوزون بجوائز فنية في فئة موسيقي "السول" أو "البلوز" السوداء فقط. أما مايكل جاكسون فقد كان نجم البوب المحبوب من السود والبيض على السواء، وهو الذي فتح الطريق أمام المغنون السود للظهور في قناة إم. تي. في. الغنائية التي كانت مقصورة على موسيقى الروك "البيضاء". لذلك تعتبر نجومية مايكل جاكسون التي تخطت ثقافة السود إلى الثقافة العامة سابقة على نجومية المذيعة أوبرا وينفري وبطل الجولف تيجر وودز والرئيس الأمريكي باراك أوباما.